

الحج .. كلغة إجتماعية ..

و هنا يجد المرء نفسه متجردا من تبعات حياته التي يحياها وعالمه الذي يلتف به ، فملابسه التي يرتديها تتبدل للباس واحد، واسع، فضفاض يعكس من خلاله حالة الفيض والزهد ، كذلك سماته الشخصية ستختفي خلف روحه التي تظهر وتضفي عليه نقاءها ، اهتماماته السابقة و انتماءاته الإقليمية والقومية والعائلية ومهنته التي يمتنها ، و ثروته التي جمعها وحياته الإجتماعية التي خلفها مسبقا .. كلها تطوى قيدها في فترة حجه ووصوله الروحي الأسمى واعتكافه فلا يبقى منه شيء سوى روحه التي تتوق للإنعتاق ..

وهو إذ يفعل يستمر في خطواته مع آخرين مثله ، أشباه له ونظراء شلال بشري يطوف بخفة الموقف ورهبانته يتوحد معه ويساير رحلته في عروجها الأسمى ، جمع بينه وبينهم ذات الهدف وذات التوق الذي ينشدونه .. فالسكينة والسلام اللذان يطلبهما تحكما علاقته بالآخرين حوله وتقوي روابطه وإياهم ..

عادة الناس في حياتها العامة تتعارف بكلها وهوياتها ولباسها الاجتماعي وعقائدها وعقدها كذلك .. لذا يكون التجميل هيكلها وصيغتها الدائمة التي لا تتخلى عنها ويصبح التعرف إليها كما هي مجردة أمرا صعبا بل ويكاد يكون مستحيلا بلغة البشر .. أما في رحلة الحج فهو وإياهم عابري سبيل متوجهين جميعاً بذواتهم المستخلصة والتي تخلت عن كل ما سبق من نقوش حياتية وهامشية مكررة وفارغة .. ومن هنا يصبح التعارف أمراً ممكناً لأنه خال من الزيف والتجمهر حول الأنا وترف التجميل ..

فاذا كانت العلاقات واضحة أحدثت ترابط كبير بين الناس وضمنت استمرارية أطول .. فالجميع هنا كالفرد .. كلهم خلعوا أثقال الحياة عنهم وبمحض رضاهم وقناعتهم وتوحدوا مع ذواتهم وبدوا كفوج واحد يصب جميعا في سيل بشري أبيض نقي يطوف ببيت الله بحركة متناغمة مترابطة لم يتفقوا عليها مسبقاً لكنهم ينتهجوها كغاية عبادية يتطلعون نحوها ..

من أدرك الجزئيات وصل للكليات .. فالطاقة التي يستفيد منها الإنسان في الحج بالتعارف والتحرر والتقوى تمنحه رؤية جديدة وبلورة مختلفة تبعث فيه الحياة والحركة .. أنها استراتيجية رائعة حين يتخذ من الحج رفقة دائمة وزاد أخوي واجتماعي يمنحه السكينة بلا شروط أو قيود .. فالعبادات مطلقا لا تتصف بالفردية بقدر ما هي جماعية اجتماعية لإحياء روحانية الاسلام في الإنسان .. هي ليست ايام

معلومات فقط تؤدي فيها نسكك وتتجنب أي معرفة تدور في هذا العالم حولك ، فلا تعنى بشأنه ولا تسأل عن همومه وأخباره .. إنها حياة وإحياء ..

لذا فالحج لغة يفيد منها المرء على جميع الأصعدة الدينية والنفسية والاجتماعية والثقافية والتجارية وغيرها .. { وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير} الإنسان يمكنه أن يفيد من هذه النعمة الروحانية النفسية التي يعود بها من الحج بصحة طيبة وعلاقات دافعة يكون لها هما مشتركا في الحياة ، ويمكنه أن يبلور من خلالها ذاته ويختبر أدواته بصورة تمكنه من الاستفادة منها ..

فالنعمة التي يمنحنا إياها الخالق تتطلب مسئولية التفعيل والتفاعل ، فليس الكل يمنح فرصة مماثلة للقيام برحلته ولا الكل تهيب له أسباب الفهم والتأمل فيما حوله .. والافادة التي يختلسها المرء في حياته من نعمة الحج يجب أن لا تكون وقتية .. فالحج قد يكون مرة في العمر لكنه قد يغير مسار حياة الحاج كل العمر .. فالتأثير الاجتماعي الذي يحدثه الحج كمفهوم وفلسفة يلتف حول الكون والحياة والانسان والعدالة والحرية .. وهذا يشكل تجانسا مهما ومؤثرا لثقافة التغيير في الواقع الاجتماعي لكل المسلمين ويهيئهم لتعديله نفسيا واجتماعيا وفكريا وثقافيا .. فلغتهم واحدة ومنهاجهم واحد ووحدتهم مشتركة وأساسها رضا الله تعالى .